

248749 - مداخل الشيطان ، لإضلال العباد .

السؤال

ما هو ترتيب العبادات فقد علمت من أحد الأشرطة الدعوية أن للشيطان مداخل ومن بينها ، أنه يبدأ بجعل العبد يكفر فإن لم يستطع فيجعله لا يصلي فإن لم يستطع فإنه يمنعه من أن يأتي بالعبادات الأكثر ثواباً ، وهكذا إلى أن يأتي إلى آخر مرحلة ، وهي كثرة الحلال ، أي يجعله من المبذرين ، فالرجاء توضيح ترتيب العبادات لأني لا ادري ما هي العبادات الأكثر ثواباً فالأكثر ولكم جزيل الشكر

الإجابة المفصلة

أولاً :

كأن السائلة تقصد بما سمعته من أحد الدعاة ، ما ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم " مدارج السالكين " فقد ذكر رحمه الله سبع عقبات يحرص الشيطان الرجيم أن يهزم ابن آدم فيها ، ولا ينتقل من العقبة الأشد إلى التي تليها إلا عند عجزه عن الأولى .

فقال رحمه الله :

" الْعَقْبَةُ الْأُولَى [العقبة هي الطريق الصعب الصاعد في الجبل]: عقبة الكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِدِينِهِ وَلِقَائِهِ، وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَبِمَا أَحْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَفِرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ بَرَدَتْ نَارُ عَدَاوَتِهِ وَاسْتَرَاحَ، فَإِنْ افْتَحَمَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ وَنَجَا مِنْهَا بِبَصِيرَةِ الْهَدَايَةِ، وَسَلِمَ مَعَهُ نُورُ الْإِيمَانِ، طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةُ الثَّانِيَّةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْبِدْعَةِ، إِذَا بِاغْتِقَادِ خِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ، وَإِذَا بِالتَّعَبُّدِ بِمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالرُّسُومِ الْمُحَدَّثَةِ فِي الدِّينِ، الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهَا شَيْئًا...

فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ، وَخَلَصَ مِنْهَا بِنُورِ السُّنَّةِ، وَاعْتَصَمَ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ الْمُتَابَعَةِ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ السَّلْفُ الْأَخْيَارُ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تَسْمَحَ الْأَعْصَارُ الْمُتَأَخَّرَةُ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ! فَإِنْ سَمَحَتْ بِهِ نَصَبَ لَهُ أَهْلُ الْبِدَعِ الْحَبَائِلَ، وَبَعُوهُ الْعَوَائِلَ، وَقَالُوا: مُبْتَدِعٌ مُحَدِّثٌ.

الْعُقْبَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الْكِبَائِرِ، فَإِنْ ظَفِرَ بِهِ فِيهَا، زَيَّنَتْهَا لَهُ، وَحَسَّنَتْهَا فِي عَيْنِهِ، وَسَوَّفَ بِهِ... فَإِنْ قَطَعَ هَذِهِ الْعُقْبَةَ بِعِصْمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَوْ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُنْجِيهِ مِنْهَا، طَلَبَهُ عَلَى:

الْعُقْبَةُ الرَّابِعَةُ: وَهِيَ عَقْبَةُ الصَّغَائِرِ، فَكَالَ لَهُ مِنْهَا بِالْفُقْرَانِ، وَقَالَ: مَا عَلَيْكَ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ مَا غَشِيَتْ مِنَ اللَّعْمِ، أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهَا تُكْفِّرُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ وَبِالْحَسَنَاتِ، وَلَا يَزَالُ يَهْوُونَ عَلَيْهِ أَمْرَهَا حَتَّى يُصِرَّ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ مُرْتَكِبٌ الْكَبِيرَةَ الْحَائِفُ الْوَجِلُ النَّادِمُ، أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، فَالْإِضْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَفْبَحُ مِنْهُ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِضْرَارِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ، ثُمَّ ضَرَبَ لِدَلِكِ مَثَلًا بِقَوْمٍ نَزَلُوا بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَعْوَزَهُمُ الْحَطْبُ، فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بِغُودٍ، وَهَذَا بِغُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا حَطْبًا كَثِيرًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، وَأَنْصَجُوا

حُبْرَتُهُمْ، فَكَذَلِكَ فَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ تَجْتَمِعُ عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ يَسْتَهِينُ بِشَأْنِهَا حَتَّى تُهْلِكَهُ) .

العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها، فسَعَلَهُ بِهَا عَنِ الْإِسْتِكْتَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَعَنْ الْجِتْهَادِ فِي التَّرْوُدِ لِمَعَادِهِ، ثُمَّ طَمَعَ فِيهِ أَنْ يَسْتَنْدِرْجَهُ مِنْهَا إِلَى تَرْكِ الشُّنَنِ، ثُمَّ مِنْ تَرْكِ الشُّنَنِ إِلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَقْلَّ مَا يُنَالُ مِنْهُ تَفْوِيئُهُ الْأَرْبَاحَ، وَالْمَكَاسِبَ الْعَظِيمَةَ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ، وَلَوْ عَرَفَ السُّعْرَ لَمَا فَوَّتَ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْفُرْبَاتِ، وَلَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالسُّعْرِ.

فَإِنَّ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْعُقْبَةِ بِبَصِيرَةٍ تَامَّةٍ وَنُورٍ هَادٍ، وَمَعْرِفَةٍ بِقَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالْإِسْتِكْتَارِ مِنْهَا، وَقِلَّةِ الْمُقَامِ عَلَى الْمِيثَاءِ، وَخَطَرِ التَّجَارَةِ، وَكَرَمِ الْمُشْتَرِيِّ، وَقَدْرِ مَا يُعْوَضُ بِهِ الثُّجَارَ، فَبَجَلَ بِأَوْقَاتِهِ، وَصَرَ بِأَنْفَاسِهِ أَنْ تَذْهَبَ فِي غَيْرِ رِبْحٍ، طَلَبَهُ الْعَدُوُّ عَلَى:

العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المزجوجة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، ورزيتها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبًا وربحًا، لأنه لما عجز عن تحسيره أصل الثواب، طمع في تحسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية، فسَعَلَهُ بِالْمُفْضُولِ عَنِ الْفَاضِلِ، وَبِالْمَرْجُوحِ عَنِ الرَّاجِحِ، وَبِالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ عَنِ الْأَحَبِّ إِلَيْهِ، وَبِالْمَرْضِيِّ عَنِ الْأَرْضَى لَهُ.

وَلَكِنْ أَيْنَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْعُقْبَةِ؟ فَهُمُ الْأَفْرَادُ فِي الْعَالَمِ، وَالْأَكْثَرُونَ قَدْ ظَفَرَ بِهِمْ فِي الْعُقْبَاتِ الْأُولِ.

فَإِنَّ نَجَا مِنْهَا بِفِطْرَةِ فِي الْأَعْمَالِ وَمَرَاتِبِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَنَازِلِهَا فِي الْفَضْلِ، وَمَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ عَالِيهَا وَسَافِلِهَا، وَمَفْضُولِهَا وَفَاضِلِهَا، وَرَبِيبِهَا وَمَرْءُوسِهَا، وَسَيِّدِهَا وَمَسُودِهَا، فَإِنَّ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ سَيِّدًا وَمَسُودًا، وَرَبِيبًا وَمَرْءُوسًا، وَذُرُوءَةً وَمَا دُونَهَا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...) الْحَدِيثِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ (الْجِهَادُ ذُرُوءَةٌ سَنَامِ الْأَمْرِ)، وَفِي الْأَثَرِ الْآخِرِ (إِنَّ الْأَعْمَالَ تَفَاحَرَتْ) فَذَكَرَ كُلَّ عَمَلٍ مِنْهَا مَرْتَبَتُهُ وَفَضْلُهُ، وَكَانَ لِلصَّدَقَةِ مَرِيَّةٌ فِي الْفَخْرِ عَلَيْهِنَّ، وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْعُقْبَةَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَالصَّدَقِ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ، السَّائِرِينَ عَلَى جَادَةِ التَّوْفِيقِ، قَدْ أَنْزَلُوا الْأَعْمَالَ مَنَازِلَهَا، وَأَعْطَوْا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

فَإِذَا نَجَا مِنْهَا لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ عُقْبَةٌ يَطْلُبُهَا الْعَدُوُّ عَلَيْهَا سِوَى وَاحِدَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا رُسُلُ اللَّهِ وَأَنْبِيَآؤُهُ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَهِيَ عُقْبَةُ تَسْلِيْطِ جُنْدِهِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، عَلَى حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ فِي الْحَيْرِ، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَتُهُ، أَجَلَبَ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِ بِجُنْدِهِ، وَسَلَطَ عَلَيْهِ حِزْبَهُ وَأَهْلَهُ بِأَنْوَاعِ التَّسْلِيْطِ، وَهَذِهِ الْعُقْبَةُ لَا حِيلَةَ لَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ كُلَّمَا جَدَّ فِي الْإِسْتِقَامَةِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالْقِيَامِ لَهُ بِأَمْرِهِ، جَدَّ الْعَدُوُّ فِي إِغْرَاءِ الشَّفَهَاءِ بِهِ، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْعُقْبَةِ قَدْ لَبَسَ لِأَمَةِ الْحَرْبِ، وَأَخَذَ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ "

انتهى " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " (1/237) .

ثانيا :

وأما السؤال عن ترتيب العبادات وما هو أفضلها ، فقد سبقت الإجابة عن ذلك في هذا الموقع ، وبيئنا أنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال .

ويرجى لمعرفة ذلك مراجعة السؤال (21374) ، (232966) .

على أن من أنفع ما يكون للعبد في أمر دينه ، وأهداه إلى صراط ربه ، وأعظمه تثبيتاً له على طاعته : ألا يزال ملازماً لذكر ربه ، في شأنه كله ، لهجا به على كل حالته .
فعن عبد الله بن بسر - رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأُخِيزُنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ». رواه الترمذي، (3375) وقال: «حديث حسن غريب» .
وصححه الألباني .

والله أعلم .